

حياة اللغات وموتها

ولمذا تبقى العربية حية

(٤)

سقطت روما العظيمة فساءل العالم أي شعب قُدِّر له أن يحمل مصباح
الارتقاء باعثاً بأشعته إلى انقارات الثلاث . واذا بموجة حياة جديدة تتسع في
ارض بعيدة بين قوم جهات اسماهم فهارس التاريخ . ففتت مدينة الاغريق دور
ظهورها في حضن المدينة الفينيقية ثم دفع اليونان الاسيويين عنهم فتت مدنيتهم
وترعرعت في ارض خصبة جميلة الموضع معتدلة الهواء عذبة الماء . ثم فسخ اللاتين
مدينة الاغريق مكيفها في قالب يلائم سليقتهم ويتمشى مع روح لغتهم . وقد
كانت بلادهم في منطقة تسهل لاهلها الانطلاق الى الخارج وبسط سلطانهم على ما
حولهم . ولكن من اين اتت المدينة العربية وهي التي ابثق نورها الاول في شبه
جزيرة العرب حيث تستمر الرمضاء ليل نهار؟ نعم ان بعض جهات البلاد الساحلية
مثل اليمن والحجاز وحضرموت كثيرة الخصب تنتج البن والقطن والتبان
والمرز والند والباخ والموز والمشش والحنطة والذرة والعدس وقصب السكر
وشجر النارجيل (جوز الهند) وانواع الطيوب العربية على اختلافها . غير انها
كانت بعيدة عن اوساط المدن والعرمان بعيدة عن تأثير الاغريق وثقود الرومان .
فأي سرٍّ اوجد تلك الحضارة التي انتشرت بسرعة لم تظفر بها حضارة من قبلها
فخطت من قارة الى قارة تحمل عز العرب باسطة تمدنهم على آسيا وافريقية وبعض
اوربا جالبة ثروة وعلماً وارتقاء ايها نشر القوم اعلامهم

تنتمي اللغة العربية الى طائفة اللغات السامية وهي ثالث اصول جوهرية
ثلاثة : الارامية والكنعانية والعربية . فالارامية تشمل الكلدانية والسريانية
والاشورية (المية منذ زمن موريل) وهي لغة سامية يقال ان السيد المسيح كان
يتخاطب بها تلاميذه . وتتألف الكنعانية من العبرية والفينيقية : فالعبرية لغة
اليهود المقدسة ومع انها تختلف اليوم كثيراً عن العبرية الاصلية فانها ما زالت
مستعملة عندم في الطقوس الدينية . ولهجة من الفينيقية (وهي البونيقية)

استعملت في قرطاجنة وعلى شواطئ اسبانيا مدة طويلة ولها بالعبرية قرابة
لنظية شديدة

اما البرية فتشمل العربية النصحى وطبقات مختلفات تكلمتها القبائل القاطنة
في جنوب بلاد العرب وبلاد الحبشة وغيرها . وهي اللغة التي سعدت بنسب
البقاء على حين ان اخواتها وبنات عمها دخلن في عالم النسيان منذ امد مديد
ظلت العربية منزوية الى اواسط القرن السادس فبرزت بثقة تستمع بقوة لغة
بالغة اشدها . فاعرف لها التاريخ طفولة ونمو . على ان ذلك لا يعني انها قد
تكونت في زمن بعيد القدم او انها قد تكون فرعاً من لغة سامية سابقة فقدت
في مجاهل التاريخ . لان بعض خصائصها النحوية (كجمع التكسير مثلاً) يميزها عن
العبرية والارامية فيجمعها اوسع منها معنى واتم نظاماً . ومن ذا الذي لم يسمع
بنها في المفردات والمترادفات ؟ ذلك النتي الذي يصبح عجيباً اذا ما قابلناه بفقر
اللغات السامية الاخرى

ما بدت العربية في القرن السادس الا لتكون لان التمدن الجديد . فانطلقت
من شبه الجزيرة تنقل الى الامصار القصية مفرداتها ومميزاتها وقطعت شاسع
المسافات نائسة لهجاتها المتخلفات من جزر الهند الى اواسط افريقية
يظن الكثيرون ان مطورة العرب في ايام محمد وعزيز الذكر المحفوظ لهم الى ايامنا
مرتكران على فوزهم في حروبهم . لكن اخلافة العربية مدينة بعظمها للاداب
والعلوم اكثر منها لمفاهم السيف وتعدد الفتوحات . ففي القرون السبعة الاولى التي
بدأت بالدعوة الى الاسلام والهجرة من المدينة (عام ٦٢٢ ليلاد) وامتدت
الى القرن الثالث عشر يشهد المؤرخون لمدينة من اعظم المدنيات التي عني بائباتها
تاريخ الاداب . فيها كان الشعراء والادباء والعلماء والمؤرخون والفلكيون على
اختلاف طبقاتهم ومجلمهم يتساقون الى اصقاع اظلم العلم العربي فصارت وجهة
الطالب وكعبة الباحث . كانوا يذكرون حث النبي على طلب العلم وشارته الى ان
الذي يسير في سبيل طلبه انما هو مسير امامه طريق الجنة . يذكرون ذلك
فيتقاطرون من كل الامصار من المغرب الاقصى والهند وجاوه وانقواقاز وتركستان .
فيقطعون البحار الواسعة ويطؤون الجبال والوهاد وراء القوافل الكبرى
ووجهتهم المساجد الشهيرة في مكة ودمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة . لان

الجامع لم يكن مكان الصلاة حسب بل كان ملتقى العلماء وجمع المتباحثين ومدرسة المتساين (كما لا يزال في أكثر البلاد الاسلامية). فتقوم تحت المناظرات في الموضوعات السياسية واللغوية والدينية. ويجوز القول في الذين كانوا يهتمون بذلك الجدال وتلك المناقشات اهتماماً يدفعهم الى تدوين خلاصة ما يسمعون في صحائف يوزعونها على فريق دون آخر — يجوز القول فيهم أنهم كانوا الصحافيين الأول. وقد كانت جميع احوال الدولة داعية الى اثاره هذه النهضة الفكرية. فالاحتكاك المتواصل بالشعوب الغربية وعيشة المدن الكبيرة وثروة الدولة المتزايدة ورفاهية الحياة الفردية الناجمة عن الفتوحات الواسعة كل ذلك كان دافعاً بالمدينة الفكرية الى الامام

منذ القرن الثاني للهجرة اخذت تلتئم الاجتماعات العلمية في مدن الشام والعراق في دمشق والبصرة والكوفة على وجه خاص. فكان عهد الخليفة المنصور عبداً زاهراً تقدمت فيه الآداب وارتقت الافكار وترجمت اهم المؤلفات الهندية واليونانية في الفلسفة والآداب والعلم. تعددت المكاتب العمومية ونصبت قاعاتها بالطلاب والمطالعين. وكان كل خليفة وامير يفاخر بما انشأه من المكاتب وبعده ما جمعه من الكتب النادرة. ولما كان الخلفاء يتنازعون الكتب بوزنهم ذهباً ويفسحون صدر محاسنهم للشعراء والعلماء ويجزلون لهم العطاء كان الاغنياء والاعيان يقتنون خطى خلفائهم في ذلك مفسحين لعلم والآداب مكاناً رحباً في حياتهم وحياة من حولهم

لقد اهتم العرب بالتاريخ اهتماماً خاصاً لانهم شعروا باحتياجهم اليه لتدوين ما يتبع من الحوادث في صدر الاسلام وما يلقاه انتشاره من المقاومة او الترحاب. اما العلوم النظرية فقد كان لها عندهم من الشأن ما لم ينله غيرهما من العلوم الاخرى. وسرعان ما وضعوا قواعد الصرف والنحو للعلم الواسعة في حين ان الاغريق وهم مهدبو الامم الاوربية لم ينتهوا من وضع اصول غراماطيقهم (١) الا بعد انتقال

(١) الفلاسفة وعدباء الهنود هم الغراماطيقيون الاول عند الاغريق. منهم اطلاقون (في محاورته كراتيليس والنسطري) وارسطو (في كتابه في الخطابة) والرواتيون. الا ان جميع هؤلاء كانوا يهتمون بفلسفة الغراماطيقي اكثر من اهتمامهم بالغراماطيقي نفسه. وقد دعي ارسطو فانس البيزنطي اب الغراماطيقي وهو اول من استعمل الحركات في اللغة اليونانية. ولم يفرغ الاغريق من وضع جميع اصول غراماطيقهم الا في العهد البيزنطي

تقدمهم الى خارج بلادهم يوم خطلت حضارتهم الى وادي النيل فقامت بها عظمة الاسكندرية

ان ما قيل في الرومان من حيث تأثير الاغريق في مدنيتهما يصح قوله في العرب بعد ان فتحوا بلاد فارس . فان التمدن الفارسي القديم قد صب في التمدن العربي الحديث وما لبث ان امتزج بعناصر بيزنطية . ومن ذلك الخليط المختلف المتناقض احياناً حيث تلامست آثار مكة وسوريا اليهودية والمسيحية وبيزنطية وبلاد الفرس وبلاد الاغريق (هذه فيما يتماق بالعلوم والفلسفة فقط) نشأت مدينة باهرة أفرشت في قالب خاص فبدت للبلاد مدينة قومية عربية

التي العربي لم يمن بالصور والتماثيل . والنعت العربي كالرسم مقتصر على زخرفة الحروف الكتابية . على ان العرب أجادوا في نوع من هندسة البناء بدأوا باقتباسه عن الفرس ثم مزجوه بميزات بيزنطية . وقد راج ذلك الفن رواجاً عظيماً في اسبانيا فبدت طبق اصوله الحمراء في غرناطة وجامع اشبيلية وماذنتها الباذخة . ويمتاز البناء العربي باقواسه الانيقة واصمده الهيفاء وتخريجه الدقيق وزخرفته كلها رونق ومهابة . ومن اجل آثاره مساجد الاستانة وقرطبة ومصر كان اليونان واللاتين قد سبقوا العرب الى غربي اسيا وشمال افريقية الا ان لغاتهم وعاداتهم لم يكن لها نصيب في حياة الشعب ولم يقتبس بعضها الا سكان المدن الكبرى وبني اهل الارياف في ذلمم وبؤسهم يرتعون . لكن العرب كانوا يستكفون عيشة الحضرة فيهبطون الالودية الحضرية ويستوطنون المروج النضراء في جيرة التلاحين والساكنين . وقد زاوجهم فامتزجت المشارب واتحدت القلوب فترك الغالب في حياة المغلوب أثراً لا يمحي من حيث تحسين الاحوال وتسهيل المعيشة ورفع مستوى الادراك . فان الاداب والعلوم والصناعة والثروة والامان كانت تجمأ ابناء حات مدينة العرب . وقد كانت سوريا ومصر وشمال افريقية والاندلس (١) اوساطاً سميدة يتألق نور الارتقاء في انحاءها بينما كانت اقطار اوريا في حالة اشبه بالهجمية . ويوم كان العرب جاهلاً بوجود الشرق الاقصى ولا يعرف من افريقية الا بعض سواحلهما القريبة كانت قوافل العرب وسفرائهم

(١) لت أدري لماذا اطلق العرب اسم الاندلس على جميع الجهات التي حكدها في اسبانيا . فان الاندلس ليس الا ولاية اوجزها منها

تحمل تجارتهم الى الهند وجاوة والصين واواسط افريقية والجهات البعيدة من اوربا كروسيا واسوج والدانمارك

عرفت اوربا العرب بفتحاتهم الواسعة . ولم تكن لتصدق في بادئ الامر ان سكان البادية يحنون شيئاً غير الذهب والفضة والتخريب . على أنها الفت مع الزمن وجردهم في الاتدلس وعلمت شيئاً فشيئاً انهم حضارة تفوق حضارتها المزعومة بمراحل . ولما ان رأى الاوربيون اسبانيا مستمتعة بميشر رغيد وارتقاء باهر أرغموا على الاقرار بان العرب بارعون في فنون السلام كما انهم متفوقون في فنون الحرب . فما تأسست جامعة قرطبة العظيمة وطارت شهرتها الى ما وراء جبال البرنات حتى توارد علماء الفرنجة يدرسون العلم على علماء المسلمين . ومن بين قاصديها رجل كان يدعى جربرت (Gerbert) تناول العلم من اساتذة العرب لكن ذلك لم ينعته من ان يصير بعد سنوات بابا روما باسم سلاستر الثاني . لانه كما قال روجر باكون الراهب الفرنسيسكاني واحد ترايع القرون الوسطى اذ اوصى في كتبه بدرس اللغة العربية : « ان الله يهب الحكمة من يشاء . فلم يتحن اعطاءها للذين لذلك لم تزهو الفلسفة الا عند شعوب ثلاثة : اليهود والافريق والعرب » . ومعلوم ان اوربا مدينة للعرب بكتب حجة نقلها اليهود من العربية الى العبرية ثم ترجمت الى اللاتينية ومنها الى اللغات الحديثة . كما ان فلسفة ارسطو لم تصل الى علماء القرون الوسطى الا عن طريق العرب وبعد تراجم اربع : من اليونانية الى السريانية فالعربية فالعبرية فاللاتينية

كذلك ادى العرب الى الانسانية ما على الامم الكبيرة من واجب النفع والافادة . انتشرت لغتهم وحضارتهم ايما انتشار فكانوا صلة امينة صلة خير وضياء بين المعصر والحالية والقرون الحديثة . ولما هبط الصايبيون الشرق عادوا الى بلادهم يحملون بعض مبادئ العرب وانظمتهم التي كانوا قد اكتسبوها في رحلتهم . فآخذها الاوربيون وفقدوها قدرها . وعلى ذلك الاساس العربي المتين أقامت اوربا صرح مدنيها الحديثة

(٥)

من هو المنبه الى تكوين هذه المدينة القومية ؟ هو فتى كان بالامس يعتمد الشام في عبر قریش تاجراً وهو اليوم محمد النبي العربي ورسول المسلمين . أما المصدر

الذي انبعث منه سعة تلك الحضارة العظيمة فهو كتاب صغير بحجمه كبير بعنايه
لقد كان للتران في سرعة انتشاره حظاً عجيب لم ينهه كتاب قباه ولا بعده .
ولم ينحصر انتشاره في الشعوب التي نودي به في وسطها ووافقت تعاليمه طيباتها
بل خضعت له أو كن ط من مدينتها العريقة ما قد يند كافيًا لغناها من سطوته
ورفض الادعاء لاحكامه

لقد وجد التران ديناً عربياً ودولة عربية واحكاماً عربية وآداباً عربية
صارت كلها أصول قومية واحدة وحلقات رابطة متينة لشعوب لم تكن العربية
لغتها . لذلك كانت خاتمة من المؤرخين ان تمدن العربي لم يكن إلا تمدناً اسلامياً
صرفاً . والتران موضوع جميع العلوم التي عني بها المسلمون في اوج حضارتهم .
أليس هو سفر الاحكام الكلاسيكية والنص الجوهري الذي ما فتئت تعاقب التفسير
عل حواشيه ؟ ألم يكن ما فيه من نظام وتشريع منها لانكار المشرعين ومستجوباً
لعلوم الفقهاء ؟ ألم تكن غاية الاولين من مؤرخي العرب تحديد زمان نزوله
وتدوين الاحاديث النبوية ؟ أليس الجغرافيون هم اهل التي الرواندين من قلب
افريقية واقصي اسيا لقادية فرضة الحج حتى اذا ما حادوا الى بلادهم كتبوا سير
اسفارهم للتذكير والتدويع الحنة وسردوا تفاصيل زيارتهم للبلاد البعيدة وما
راوه فيها من جديد غريب ؟ ألم يكن غرض اللغويين الضاح ما غمض من أي
التران وتطبيق قواعد الصرف والنحو على نصوصه . ألم تطلب ارماد الفلكيين
وحساب الرياضيين لتحديد ساعات الصلاة وتوقيت موعد الحج والصوم ؟ ألم
توجب المسائل الصحية المذكورة في التران اهتمام الاطباء بالبحث والتنقيب ؟

نعم لم يهتم العرب في اول تاريخهم بعلم ما إلا ان بعض آيات التران قضت
بالبحث فيه او لاحتياجهم لتفسير معنى غمض عليهم من معانيه . ومذاهب علماء
الكلام هي التي استمدت بحاث الفلاسفة ومناظراتهم فكأنوا بما نقلوه وابدعوه
اساتذة المدينة الحديثة من حيث الفلسفة

لقد اشترك مع العربية لغتان اخريان بكونهما لغتين عموميتين لانكار دينية
ومذاهب سياسية اثمرت بين شعوب مختلفة اعني اليونانية واللاتينية . فقد كانت
اللاتينية تستعمل من كيبانيا في ايطاليا الجنوبية الى الجزائر البريطانية ومن نهر
الرين الى جبل الالپس . واستعملت اليونانية من اقاصي صقلية الى شاطئ دجلة

التران
في
العلم
والفلسفة

ومن البحر الاسود الى تخوم الحبشة. لكن ما اضيق ذلك الانتشار اذا ما قايناه بانتشار العربية التي امتدت الى اسبانيا وافريقية حتى خط الاستواء وجنوب آسيا وشمالها الى ما وراء بلاد التتر. فقد استولت لغة العرب الكتابية على جميع انحاء الشرق الاسلامي. وان لم تتغلب بصفحتها لغة كلامية على بعض اللغات في الشرق والشمال فقد اوجدت فيهن تغييراً ثابتاً وتبديلاً بيناً في الفارسية والهندية والهندوسانية والتركية ولغات افريقية ولهجات التتر. كذلك في اللغات المشتقة من اللاتينية كلمات كثيرات اصلها عربي صرف.

لقد امنت اليونانية واللاتينية في صف اللغات الميتة منذ هبطت مدينتاهما. فالذي حفظ العربية حية بعد زوال مدينة العرب بقرون سبعة؟ ان الذي كان باعثاً على تكوين المدينة العربية هو الذي ما زال حانظها الى اليوم. هو القرآن الشريف. لقد كان الاسلام يرمي الى التوحيد سواء في الدين والسياسة واللغة. وكما عين القرآن العتيذة فقد عين اللغة

لذلك تستظل اللغة العربية حية ما دام الاسلام حياً وما دام في انحاء المعمورة ثلاثمائة مليون من البشر يضعون يدهم على القرآن حين يقسون

(٦)

كثرتُ الجملة السابقة وانا واثقة بانها الخاتمة. وقد انتسبت لساعات قضيتها في هذا البحث لان من اعظم سررات الولوع بالعقليات استتفاء آثار خطى الفكر في ما نسميه الماضي (وفي الحقيقة لا ماضي ولا حاضر ولا مستقبل الا في ادراكنا المحدود) ودرس احوال تقلبت عابيه فتلون بها

غير اني راجعت قراءة ما كتبت بعد يوم او يومين فشعرت ان حجتي قد لا تكفي للاقتناع وان مجال القول لم يزل ذا سعة فرأيت ان اتقدم الى نقطة تقال عندها الكلمة الاخيرة

رأي كثير من علماء الغرب ومستشرقيه في مستقبل اللغة العربية لا يسر بمجماعه. فهم يقولون ان عظمة آدابنا في انتشارها الماضي لا تضمن لها البقاء. وان اللغة قد انقضى زمانها فدخات دائرة ان لم تكن مملكة الموت فهي دور الجلود الذي لا خروج منه ولن يحفظها القرآن كما لم تحفظ العبرانية واليونانية القديمة لفتين كلاميتين بالتوراة والانجيل

ما انتقلت الحفارة الى اوربا وتآلفت شمسها هناك حتى هيبت شعوب الشرق الى هوة الجلود والسيان . فظنوا في محدرهم الدهري ثلاثة قرون متواليات الى ان جاءت بهم حركة الحياة على يد الحملة الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر . ولتدبر على مصر زمن كان فيه اساتذة الازهر يلقون دروسهم على الطلبة باللغة العامية وشاعت تلك اللهجة في الدواير الاخرى اذية كانت او سياسية (وما زلنا نرى اعمودجا منها في كثير من رسائل الدواوين)

فكيف كانت تكون الآن حالنا يا ترى لولا الحملة العملية التي رانقت بوابرت غفاهتا بالمطبعة وبمبادئ النهضة الثرية ولولا ذكاه محمد علي باشا الكبير وهمة التي حملته على الاعتناء بترية الافكار اعتناءه بترية الزراعة وارسال البعثة المصرية الى فرنسا حيث سرت الى الارواح عدوى الحياة . وماذا تكون حالنا لولا أفضل ملا العلم رؤوسهم وذبت الثيرة في فوسهم فوقوا حياتهم واقلامهم لانهاض الشرق من سباته الطويل . وفي هذه الحملة خير شاهد واجل آر . وهي التي تلخص فيها شهرياً منذ اثنتين واربعين سنة مدينة الغرب الفكرية بقلم أنيق ولغة فصيحة لا مشاحة انه لولا هذه النهضة الفكرية ولولا ارتباط العبران الشرقي بالقرآن ولتنته الفصحى لاصاب العربية ما اصاب المنسكرونية والعبرية واليونانية واللاتينية لقد كانت لغة الكتاب الحكيم كافية وانية بما حوتها من بلاغة التعبير عما يحتاج الضمائر معها كان يوم كانت الخلافة العربية في اوج مجدها وكان الفكر العربي امين خزنة العلم والتلعة في العالم . لكن الزمان تغير والموجة التي بلغت شأوها في الارتفاع طادت الى الهبوط مفسحة مجالاً لموجات غيرها . فقد اطلعتنا اوربا على ما ابدعته وتتابعت الاكتشافات وتمددت العلوم فوجدنا انفسنا بنته اجزاء اشياء تجهلها ومسمايات لا ابناء لها عندنا بينا يشتد احتكاكنا بالاجانب واحتياجنا اليهم كل يوم ونضطر الى مخالطهم سواء في بلادنا او في بلادهم . وقد درسنا لغاتهم فمرنا آدابهم واقتبسنا بعض عاداتهم . ويقول قوم ان ذلك كله دليل على اننا صرنا في عصر جديد لا تكفيه عربية الصدر الاول ولا عربية القرون الاولى . لكن فات هؤلاء ان يميزوا اللغة هي ما فيها من التضاريف وحروف المعاني وهذه كافية وانية واذا اضطرت الى اسم ليس جديد فاما ان تفتنه له او تتبته من غيرها . وعلى هذا النسق تمت العربية في القرون الاولى حينما ترجمت اليها كتب العلم

والتلفة من الريانية واليونانية والهندية وقام فيها واضر علوم المان فاهم
وضعوا واشتقوا وعربوا وبقيت العربية في مقامها الاثني يتفاز في سبك المعاني
في قوالها ابو الطيب وابو العلاء والصابي والاصفهاني وابن سينا وابن رشد
وامثالهم من الادباء والعلماء

فقد وسع القرآن اللغة العربية وحفظها من الدور وابقاها في روتها الاول.
ولا يطلب من ابتائها الآن لجعلها تجاري النهضة الفكرية والمناخية الحديثة الأ
ان يجروا على خطة اسلافهم الاولين في وضع المصطلحات وتسمية المسميات وتعمير
ما لا بد من تربيته كما فعلت هذه المجلة ونحوها من الجلات والجرائد فلم يتعذر
عليها التمييز عن مختلف العلوم والفنون والمعاني الجديدة بعربية صحيحة
هذا ما تشتمل له اقسام الافضل كل في بابها وهذا ما يدعى اليه المجمع اللغوي
الموقر وهذا ما تتوقفه آمالنا الساهرة على مراقبة الحركة الفكرية الحديثة (م)

الفحم والحديد

عميد

تكتب هذه السطور لتتشر في المنتطف على وري دون ورقه العادي ولكنة
اغلى منه خمسة اضعاف اما ورقه فلا سبيل اليه الآن وان وجد ثمنه اغلى مما كان
عشرة اضعاف على الاقل. والسبب الأكبر لهذا الغلاء القاحش غلاء الفحم الحجري
وسبب غلائه كثرة استعماله في حمل الاسلحة والتخاثر الحربية. وما يقال عن
الفحم يقال عن الحديد. فالفحم والحديد يرخسان كل شيء يرخصهما وينليان كل
شيء يفلأهما حتى ما يظفر في ياديه الرأي ان لا علاقة له بهما سلقاً كالتفحم
والسك غلا يفلأهما لان الفلاح الذي كتب يسهل عليه ان يأكل ويكتسي
ويخدم ارضه ويسدها من ثمن قبحه حينما كان سعر الارذب منه مئة غرش صار
لا يستطيع ان يأكل ويكتسي ويخدم ارضه ما لم يبيع الارذب بمئتي غرش او
ثلاثمائة. والصيد الذي كان يستطيع ان يأكل ويكتسي اذا باع اقة السك
بخمسة غروش اصبح لا يستطيع ان يعيش ما لم يبيعها بخمسة عشر غرشاً والسبب